مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين الذى جعل الأبناء من زينة الحياة الدنيا ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ (الكهف : ٤٦) ، وأمرنا بالإحسان إليهم والبر بهم بدءًا من اختيار الزوجة التى ستصبح أمًا لهم ، واختيار اسم لكل منهم ، والاهتمام بهم سواء كان ذلك جسميًا ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ... ﴾ (البقرة : ٢٣٣) ، وكفالتهم والنصح لهم ﴿ ... هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴾ (القصص : ١٢) ، أو دينيًا ، وخلقيًا ، واجتماعيًا ، ونفسيًا ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (لقمان: ١٧ - ١٩) ، وأمرنا بحسن رعايتهم ، وتأديبهم، والرحمة بهم ، وعدم الإساءة إليهم أو قتلهم بسبب الفقر أو غير ذلك ﴿ ... وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ ... ﴾ (الأنعام : ١٥١) ، ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء : ٣١) .. والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ الذى أمرنا بأن نعلم أولادنا الصلاة وهم أبناء سبع سنين ، وأن نضربهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وأن نفرق بينهم فى المضاجع ، والذى أوصانا أيضًا بأن نبر أبناءنا صغارًا ، وأن نحسن معاملتهم حتى يبرونا كبارًا ، والذى أمرنا كذلك بحسن تربية أبنائنا بنين وبنات حيث إن ذلك من شأنه أن يدخلنا الجنة ، وعلى آله وصحبه وسلم ..

وبعـــد ،،،

درجت النظرة على أن الأم هى التى تلعب دورًا رئيسيًّا وفعَّالاً فى تربية الطفل فهى التى تحمل ، وتلد ، وترضع ، وتهتم بالأطفال ، وتعتنى بهم . أما الدور الذى يمكن أن يلعبه الأب فى حياة أبنائه ، وفى نموهم فقد اختلفت الآراء حوله ، وتباينت ، ولكن الدراسات الحديثة قد أثبتت اتفاقًا مع تلك النظرة الأكثر شمولاً التى نظر الإسلام بها إليه أن الأمر لا يقف مطلقًا عند حد الإنفاق من جانب الأب على أبنائه فحسب ، بل إن وجوده بالمنزل يعمل على نمو شخصية الطفل ، وصقلها ، أما غيابه عن الطفل فيؤدى إلى حدوث العديد من الآثار السلبية على شخصيته بوجه عام . ومن الجدير بالذكر أن علاقة الأب بالطفل تبدأ منذ ولادة ذلك الطفل ، وأن العلاقة الإيجابية المبكرة التى تنشأ بينه وبين الطفل تساعد على النمو السوى المتكامل لشخصية الطفل عقليًّا ، وخلقيًّا ، وانفعاليًّا ، واجتماعيًّا ، ومعرفيًّا وهو الأمر الذى يجعل هذا الدور لا يقل بأى حال من الأحوال عن ذلك الدور الذى تقوم به الأم لأن الأب إذا لم يلعب مثل هذا الدور الإيجابى فى حياة أبنائه ، وتساوى وجوده مع غيابه بالنسبة لهم تنشأ عن ذلك ظاهرة لها آثار سلبية خطيرة عليهم أطلق عليها علماء النفس الغياب النفسى للأب .

ومن جهة أخرى فإن وجود الأب مع الطفل ، وانغماسه فى حياته ، ومشاركته فيها ، واتخاذه دور إيجابى فى حياة طفله ، وقيامه بوضع الحدود له يدفع بالولد إلى أن يتخذه نموذجًا له يحاكيه ، فيتعلم منه حدود الدور الذكرى ، وتتعلم منه البنت الدور التبادلى ، وتتعرف من خلاله على الدور الذكرى فتتعلم أن تسلك بطريقة أنثوية . أما غياب الأب عن المنزل فيؤثر كما يرى العديد من الباحثين على الولد أكثر من البنت خاصة إذا لم يوجد أمام الطفل بديل ذكرى إيجابى يتعلم منه حدود الدور الجنسى مما يكون له أثره على هويته الجنسية بطبيعة الحال .

كذلك فإن وجود الأب مع طفله يساعد الطفل على تعلم الأخذ والعطاء ، وضبط النفس ، وتعلم قيم المجتمع ، وعاداته ، وتقاليده ، ومعاييره الخلقية حيث يمثل الأب حلقة الوصل بين طفله وبين المجتمع الأكبر خارج حدود الأسرة مما يكون له أبلغ الأثر على نمو أخلاقيات طفله ، وبلورتها وهو الأمر الذى يساعده على أن يتصرف وفقًا لتلك

المعايير الخلقية . كما أن الرعاية التى يوليها الأب لأطفاله تلعب دورًا هامًا فى تيسير حدوث نضجهم المعرفى ، أما بالنسبة للبنات فيبدو أن البعد النسبى للبنت عن الأب واستقلالها عنه يرتبط بكفاءتها المعرفية فى ظل مختلف الظروف . بينما نجد أن السلوك التسلطى من جانب الأب تجاه أبنائه من الجنسين يرتبط بانخفاض أدائهم الأكاديمى . ويعود غياب الأب بالآثار السلبية على الأداء العقلى لأطفاله خاصة إذا كان هذا الغياب قد بدأ قبل أن يصل الطفل الخامسة من عمره . وفضلاً عن ذلك فإن هذا التأثير يمتد بطبيعة الحال إلى كل جوانب النمو الأخرى ، وكل جوانب شخصية الأبناء وذلك اتفاقًا مع ما يفكر فيه الكثيرون فى الوقت الراهن ، وما يعرفونه عن تلك الإسهامات التى يمكن أن يقدمها الأب فى التنشئة الاجتماعية لأبنائه ، وفى نمو شخصياتهم وهو الأمر الذى تتناوله تلك الأطر النظرية التى تحاول أن تتلمس هذا الطريق ، وما تم إجراؤه فى ضوئها من دراسات ، وما يجب أن تتجه إليه البحوث فى المستقبل ، والاتجاه الذى يجب أن تسلكه الجهود البحثية مستقبلاً .

وجدير بالذكر أن ذلك الدور الذى يمكن أن يلعبه الأب فى حياة أبنائه قد تعرض للمد والجذر على امتداد العصور التاريخية المختلفة إلى أن ظهر الاهتمام به من جديد ، وأدرك المنظرون والباحثون أن للأب دورًا أساسيًا فى حياة الأبناء لا يقل فى أهميته عن دور الأم ، وأن انفصاله عن الأسرة أو غيابه عنها لأى سبب من الأسباب له من الآثار السلبية ما يمكن أن يزعزع أسس شخصية الأبناء ، وأن يقوض من فرص تحقيقهم للنمو السوى ، أو تحقيقهم للتوافق والتكيف . ونحن حينما نناقش دور الأب فى حياة الطفل ، ونوليه اهتمامًا لم يكن قد ناله من قبل حتى خلال فترات المد بالنسبة له فإننا بذلك لا نلغى دور الأم ، ولا نستهين به ، ولا نقلل من شأنه حيث أن دورها أساسى ، وفعال ، ولا يمكن المساس به ، أو الحط منه إذ يمثل الأب والأم قطبى الحياة الأسرية ، وعمادها والتى لا يمكن لها بدونهما ، أو حتى بدون أى منهما أن تستقيم إذا ما أردنا لها أن تصل إلى بر الأمان . ومن هذا المنطلق فإن هذا الكتاب يعد بحق أحد أفضل تلك الكتب التى تناولت هذا الموضوع ، وأكثرها شمولاً ، وغزارة فى المعلومات التى يقدمها حول ما يتعرض له من موضوعات مختلفة تدخل فى إطار حدود هذا الدور محور الحديث . وهذا ما جعلنا نختاره دون سواه ، ونقدم على ترجمته ، وتقديمه للقارئ العربى كى يستفيد منه

القارئ المتخصص وغير المتخصص خاصة وأن المكتبة العربية تكاد تخلو من الكتب والمراجع الشاملة التى تتناول مثل هذا الموضوع .

ومن الجدير بالذكر أننا قد قمنا بتقسيم الكتاب إلى ثلاثة محاور رئيسية يمثل كل منها أحد أبوابه الثلاثة ، ويتضمن أربعة فصول فأصبح الكتاب على ذلك يتناول هذا الموضوع من ثلاث وجهات نظر متباينة تتكامل مع بعضها فى سبيل توضيح تلك الصورة هى :

١ - منظور متعدد الأبعاد .

٢ - منظور نمائى .

٣ - منظور نفسى اجتماعى .

فيعرض الباب الأول لهذا الدور من منظور متعدد الأبعاد ، ومن ثم يتناول الفصل الأول الجذور التاريخية لهذا الدور وذلك منذ المجتمعات اللاطبقية مرورًا بما تلاها من مجتمعات مختلفة وحتى الوصول إلى وقتنا الراهن . ويتناول الفصل الثانى هذا الدور من وجهة نظر مدرسة التحليل النفسى وذلك منذ فرويد Frued الرائد الأول لها وحتى تلك التطورات الأخيرة التى شهدها هذا المجال والتى تمثل آفاقًا جديدة للتطور فيه . أما الفصل الثالث فيتناول هذا الدور من وجهة نظر علم النفس الحيوانى وذلك لدى بعض فصائل القرود والقردة العليا فى حين يتناول الفصل الرابع نظرة تكاملية لدور الأب فى حياة الطفل من خلال استعراض الأطر النظرية المختلفة فى هذا الصدد ، والدمج بينها .

ويعرض الباب الثانى من الكتاب لهذا الدور من منظور نمائى وذلك على امتداد أربعة فصول أخرى تبدأ بالفصل الخامس وتنتهى بالفصل الثامن . فيتناول الفصل الخامس دور الأب فى قيام الطفل بعملية الاستدخال الخلقى أى استدخاله للمعايير الخلقية ، والقيم المختلفة كى تصبح جزءًا من شخصيته . ويتناول فى الفصل السادس دور الأب فى النمو العقلى والأكاديمى للطفل أى أثره على أداء الطفل وكفاءته عقليًّا ، ومعرفيًّا ، وأكاديميًّا . أما الفصل السابع فيتناول دور الأب فى نمو الدور الجنسى للطفل ، أى دوره فى قيام الطفل بما يتوقعه منه المجتمع من أدوار بناء على جنسه البيولوجى فضلاً عن نمو هوية الدور الجنسى للطفل . ويتناول الفصل الثامن غياب الأب والطلاق وأثر كل منهما على نمو شخصية الطفل ، وقد تم تخصيص الطلاق

كصورة من صور وأنماط غياب الأب لأنه يعتبر أكثر هذه الصور والأنماط أثراً ، وأبعدها خطراً على نمو شخصية الأبناء وإن كان هذا الفصل لم يتجاهل رغم ذلك أثر الأنماط الأخرى لغياب الأب على الأطفال ذكورًا وإناثًا .

ويتناول الباب الثالث من الكتاب ذلك الدور الذى يضطلع به الأب فى حياة الطفل من منظور نفسى اجتماعى وذلك على امتداد أربعة فصول أيضًا من الفصل التاسع وحتى الفصل الثانى عشر . ويعرض الفصل التاسع لدور الأب كما يتضح من خلال السياق الأسرى إلى جانب أنماط التكيف من جانب الآباء للدور الوالدى ، والتنظيم الأسرى للأدوار ، والشبكة الاجتماعية بالأسرة ، والتفاعلات الاجتماعية المختلفة . ويعرض الفصل العاشر للأب كعضو فى شبكة العلاقات الاجتماعية للطفل ، ومدى تعقدها ، وأثرها على الطفل فضلاً عن الآثار المباشرة فى هذا الصدد ، والآثار غير المباشرة للأب على الطفل ، وأنماط التفاعل بين الأب والطفل . أما الفصل الحادى عشر فيتناول دور الأب فى حياة الطفل خلال مرحلة المهد ، والمحددات المختلفة التى تحكم انغماسه فى العناية بالرضيع حينئذ ، وأنماط التفاعل بينهما ، وأنماط لعبه مع الرضيع قياسًا بأنماط لعب الأم معه ، وكيفية تأثير الأب على تفاعل الأم مع الرضيع . ويعرض الفصل الثانى عشر والذى يمثل آخر فصول هذا الكتاب لتطور العلاقة بين الأب والرضيع ، والتفاعل بينهما ، وأهم السمات التى تميز مثل هذا التفاعل . ثم يعرض بعد ذلك لتطور التعلق والارتباط الذى ينشأ بين الأب والرضيع فضلاً عن الآثار المباشرة وغير المباشرة للأب على النمو الاجتماعى للرضيع ، ونمو شخصيته .

وبذلك يبدو أن هذا الكتاب يعرض جديًا لصورة متكاملة من ذلك الدور الذى يمكن أن يلعبه الأب فى حياة أبنائه ذكورًا كانوا أم إناثًا وذلك من مختلف الجوانب والزوايا والرؤى بما يفتح المجال على مصراعيه أمام الباحثين كى يتمكنوا من سبر غور شخصية الطفل بجوانبها المختلفة ، العقلية ، والاجتماعية ، والانفعالية ، والخلقية ، والأكاديمية ، والنفس جنسية ، وغيرها ، والقيام بتمحيص ذلك الدور الذى يمكن أن يقوم به الأب فضلاً عما يمكن أن يقوم به باقى أعضاء الأسرة فى حياة الطفل استرشادًا بما يضمه الكتاب من كم كبير من الدراسات خاصة الحديثة منها فضلاً عما يقدمه من أطر نظرية حديثة حول تلك الجوانب التى تمت دراستها . وبالتالى يصبح هذا الكتاب لا غنى

عنه للباحث ، والدارس ، والمربى ، والأب ، والأم ، بل وعامة الناس سواء كانوا متخصصين فى ذلك أم لم يكونوا متخصصين .

وأخيرًا .. أدعوا الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت فى اختيارى لهذا الكتاب حتى أقدمه لمكتبتنا العربية ، وأن أكون قد وفقت فى تقسيمى له على هذا النحو ، وفى عرضى لما يتضمنه هذا التقسيم ، وأن تعم به الفائدة ، وأن يجد فيه من يقصده ضالته المنشودة ، وأن يمثل إضافة للمكتبة العربية حول هذا الموضوع على وجه الخصوص ، وفى علم النفس عامة .

والله ولى التوفيق ،،،

أ.د./ عادل عبد الله محمد

openkandl.com